الفصل الخامس

آراؤه ومعتقداته

إثبات واجب الوجود

يرى الشيخ الرئيس إنه لا يتيسر إثبات واجب الوجود إلا بعد معرفة طبيعتي الممكن والواجب فقد شرع في بيانهما :

« ان الواجب الوجود هو الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال .

وان الممكن الوجود هو الذي متى فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض منه محال .

والواجب الوجود هو الضروري الوجود .

والممكن الوجود هو الذي لا ضرورة فيه بوجه أي لا في وجوده ولا في عدمه — فهذا هو الذي نعنيه في هذا الموضع بممكن الوجود ، وإن كان قد يعنى بممكن الوجود ما هو

في القوة ... المتمكن على كل صحيح الوجوه ، وقد فُصل ذلك في المنطق .

ثم إن الواجب الوجود قد يكون واجباً بذاته وقد لا يكون بذاته — .

أما الذي هو واجب الوجود بذاته فهو الذي لذاته لا لشيء آخر أي شيء كان يلزم محال من فرض عدمه .

وأما الواجب الوجود بذاته فهو الذي لو وضع شيء مما ليس هو صار واجب الوجود . مثلا : إن الأربعة واجبة الوجود لا بذاتها ولكن عند فرض اثنين واثنين ، والاحتراق واجب الوجود لا بذاته ولكن عند فرض التقاء القوة الفاعلة بالطبع والقوة المنفعلة بالطبع ، أعني المحرقة والمحترقة » (١) .

تنبيه :

« كل موجود إذا التفت إليه من حيث ذاته من غير التفات إلى غيره فاما أن يكون بحيث يجب له الوجود في نفسه أو لا يكون .

فان وجب فهو الحق بذاته .

الواجب الوجود من ذاته ، وهو القيوم ، وإن لم يجب لم يجز أن يقال : إنه ممتنع بذاته بعد ما فرض موجوداً بل إن قرن باعتبار ذاته شرط مثل شرط عدم صار ممتنعاً ، [أو مثل شرط وجود علة صار واجباً] وإما أن لم يقرن به شرط لا حصول علة ولا عدمها ، بقي له في ذاته الأمر الثالث وهو

« ١ » الهيات النجاة ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

الامكان فيكون باعتبار ذاته الشيء الذي لايجب ولا يمتنع .

فكل موجود إما واجب الوجود بذاته ، وإما ممكن الوجود بحسب ذاته » (١) .

وبعد أن أبان ابن سينا طبيعتي الواجب والممكن ، أعلن أن الباري واجب الوجود لذاته ، وإن كل ما سواه ممكن لذاته واجب لغيره ، وانه هو الطرف الأول السلسلة العلل والمعلولات التي تمتد منه نازلة إلى أصغر جرثومة على الأرض ، وذلك لأن التسلسل بلا نهاية باطل ، وان السلسلة مهما امتدت لابد لها من طرف ، وان هذا الطرف لابد أن يكون غير معلول ، بل واجب الوجود لذاته ومن ذاته ، وهو يبرهن على هذا فيقول:

« كل جملة ، كل واحد منها معلول فانها تقتضي علة خارجة عن آحادها وذلك لأنها إما ألا تقتضي علة أصلا فتكون واجبة غير معلولة ، وكيف يتأتى هذا وإنما تجب بآحادها ؟! .

وإما أن تقتضي علة هي هذه الآحاد بأسرها ، فتكون معلولة لذاتها ، فان تلك العلة والجملة والكل شيء واحد واما الكل بمعنى كل واحد فليس تجب به الجملة .

وإما أن تقتضي علة هي بعض الآحاد ، وليس بعض الآحاد أولى بذلك من بعض إذا كان كل واحد منها معلولا لأن علته أولى بذلك .

وإما أن تقتضي علة خارجة عن الآحاد كلها وهو الباقي . » (٢)

« ١ » الاشارات والتنبيهات ، المسألة الثالثة من النمط الرابع .

« ٢ » نفس المصدر .

اشارة :

« كل سلسلة مرتبة من علل ومعلولات كانت متناهية أو غير متناهية ، فقد ظهر أنها إذا لم يكن فيها إلا معلول ، احتاجت الى علة خارجة عنها لكنها تتصل بها لا محالة طرفاً .

وظهر انه إن كان فيها ما ليس بمعلول ، فهو طرف ونهاية فكل سلسلة تنتهي الى واجب الوجود بذاته » (١) .

ومعناه

يرى ابن سينا ان الباري واحد من كل وجـه أي انه منزّه عن التألفات الخمسة التي تعرض لكل من عداه وما عداه وهي :

١ — التألف المادي كتألف الجسم من عظم ولحم ودم :

٢ — التألف الذهني كتألف الجسم من هيولى وصورة .

٣ — التألف المنطقي كتألف القول الشارح من جنس وفصل .

٤ — التألف من الذات والصفات .

٥ — التألف من الماهية والوجود .

وينجم عن هذا انه يكون لا جسماً ولا هيولي ولا صورة وانه لا يعرف بالايجابات ، ولا صفة له ، وان وجوده عين ذاته ، وانه برىء عن النواحي والجهات ، وان المتكلمين الذين يرون ان الوجود صفة زائدة على الذات ، او ان له صفات تدعى صفات المعاني مخطئون لأن ذلك يؤدي الى تطرق النقص

(١) الاشارات المسألة الثالثة من النمط الرابع .

اليه تعالى ، وان الحق هو فيما ذهب اليه الفلاسفة من نفي كل هذا عنه ، إذ أن الوحدانية لا تثبت له لمجرد نفي الشريك بل هي تتوقف على نفي الشريك ، والضدّ ، والنـــدّ ، والصفة ، والحيثيات ، وكل ما يمتّ الى المغـــايرة بأدنى صلة ، وفي هذا يقول :

« فقد اتضح من هذا أن واجب الوجود ليس بجسم ، ولا مادة جسم ، ولا صورة جسـم ، ولا مادة معقولة لصورة معقولة ، ولا صورة معقولة في مادة معقولة ، ولا له قسمة لا في الكم ، ولا في المبادىء ، ولا في القول ، فهو واحد من هذه الجهات الثلاث » (١)

اشارة :

« لو التأم ذات واجب الوجود من شيئين أو أشياء تجتمع لوجب بها ، وكان الواحد منها أو كل واحد منها قبل الواجب الوجود ، [ومقوماً لواجب الوجود] ، [فواجب الوجود] لا ينقسم في المعنى ولا في الكم ... » (٢)

اشارة :

« كل ما لا يدخل الوجود في مفهوم ذاته على ما اعتبرنا قبل فالوجود غير مقوم له في ماهيته ، ولا يجوز أن يكون لازماً لذاته على ما بان فبقي أن يكون عن غيره » (٣)

«١» الهيات النجاة ص ٢٢٨ .

«٢» الاشارات المسألة الرابعة من النمط الرابع .

«٣» نفس المصدر .

« واجب الوجود هو مبدع المبدعات ومنشيء الكل وهو ذات لا يمكن أن يكون متكثراً أو متحيزاً أو متقوماً بسبب في ذاته أو مباين في ذاته ولا يمكن أن يكون وجود في مرتبة وجوده فضلاعن أن يكون فوقه ولا وجود غيره ليس هو المفيد إياه قوامه فضلا عن أن يكون مستفيداً عن وجود غيره وجوده ، بل هو ذات ، هو الوجود المحض ، والحق المحض ، والخير المحض ، والقدرة المحضة ، والحياة المحضة ، من غير أن يدل بكل واحد من هذه الألفاظ على معنىً مفرد على حدة بل المفهوم منها عند الحكماء معنىً وذات واحد ... (١)

إصدور الأشياء عنه المبر الأول

« فقد ظهر لنا أن لكل مبدأ واجب الوجود غير داخل في جنس أو واقع تحت حدّ أو برهان بريئاً عن الكم ، والكيف والأين ، والمتى ، والحركة ، لا ندّ له ولا شريك ولا ضدّ وانه واحد من الوجوه : لأنه غير منقسم لا في الاجزاء بالفعل ولا في الاجزاء بالفرض والوهم كالمتصل ولا في العقل بأن تكون ذاته مركبة من معان عقلية متغايرة يتحد بها جملة وانه واحد من حيث هو غير مشارك أليته في وجوده الذي له فهو بهذه الوجوه فرد وهو واحد لأنه تام الوجود ما بقي له شيء ينتظر حتى يتمّ . وقد كان هذا أحد وجوه الواحد وليس الواحد فيه إلا على الوجه السلبي ليس كالواحد الذي

---

(١) الرسالة النيروزية .

للأجسام لاتصال أو اجتماع أو غير ذلك مما يكون الواحد فيه بوحدة وهي معنى وجودي يلحق ذاتاً أو ذواتاً (١) .

الوحي والملائكة

والوحي عند ابن سينا « هو الالقاء الخفي من الامر العقلي باذن الله تعالى في النفوس البشرية المستعدة لقبول مثل هـذا الالقاء ، إما في حال اليقظة ويسمى الوحي ، وإما في حال النوم ويسمى النفث في الروع » (٢)

ويقول في حد الملك : « هوجوهر بسيط ذوحياة ونطق عقلي غير مائت ، وهو واسطة بين الباري عز وجل والاجسام الارضية ، فمنه عقلي ، ومنه نفسي ، ومنه جسماني » (٣)

ويقول ايضاً : « وقد ذاع في الشرع ان الملائكة أحياء قطعاً لا يموتون كالانسان الذي يموت » (٤)

« وسميت الملائكة بأسامي مختلفة لأجل معاني مختلفة والجملة واحدة غير متجزئة بذاتها إلا بالعرض من أجل تجزي القابل » (٥)

اشارة :

« التجربة والقياس متطابقان » على أن للنفس الانسانية أن تنال من الغيب ، نيلا ما ، في حال المنام ، فلا مانع من أن

« ١ » الهيات النجاة ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

« ٢ » رسالة الفعل والانفعال .

« ٣ » رسالة الحدود .

« ٤ » رسالة اثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم .

« ٥ » نفس المصدر .

يقع مثل ذلك الميل في حال اليقظة ، إلا ما كان إلى زواله سبيل ولارتفاعه إمكان .

أما التجربة :

فالتسامع والتعارف يشهدان بها ، وليس أحد من الناس إلا وقد جرب ذلك في نفسه ، تجارب ألهمته التصديق ، اللهم إلا أن يكون أحدهم فاسد المزاج ، ناقص قوى التخيل والتذكير . . . » (١)

النبوة والامامة

وفي النبوة يشرع الشيخ قائلا :

اشارة :

« لما لم يكن الانسان بحيث يستقل وحده بأمر نفسه إلا بمشاركة آخر من بني جنسه ، وبمعاوضة ومعارضة تجريان بينهما يفرغ كل واحد منهما لصاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه ، لازدحم على الواحد كثير ، وكان مما يتعسر إن أمكن .

وجب أن يكون بين الناس معاملة وعدل يحفظه شرع ، يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعة ، لاختصاصه بآيات تدل على انها من ربه .

ووجب أن يكون للمحسن والمسيء جزاء من عند الخبير القدير .

---

(١) الاشارات المسألة الثالثة من النمط العاشر .

فوجب معرفة المجازي والتاريخ ، ومع المعرفة سبب حافظ للمعرفة ، فعرفت عليهم العبادة المذكورة للمعبود » (١)

وأبان إثبات النبوات مفصلا بقوله :

« والآن من المعلوم ان الانسان يفارق سائر الحيوانات بأنه لا يحسن معيشته لو انفرد وحده شخصاً واحداً يتولى تدبير أمره من غير شريك يعاونه على ضرورات حاجاته .

وأنه لا بد أن يكون الانسان مكفياً بآخر من نوعه يكون ذلك الآخر أيضاً مكفياً به وبنظيره فيكون مثلا هذا ينقل إلى ذاك . وذاك يخبز لهذا — وهذا يخيط للآخر — والآخر يتخذ الابرة لهذا حتى إذا اجتمعوا كان أمرهم مكفياً — ولهذا ما اضطروا الى عقد المدن والاجتماعات .

فمن كان منهم غير محتاط في عقد مدينته على شرائط المدينة وقد وقع منه ومن شركائه الاقتصار على اجتماع فقط فانه يتحصل على جنس بعيد الشبه من الناس عادم لكمالات الناس ومع ذلك فلا بد لأمثاله من اجتماع ومن تشبه بالمدنيين وإذا كان هذا ظاهراً فلا بد في وجود الانسان وبقائه من مشاركة ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة ... من سنة وعدل ولا بد للسنة والعدل من سان ومعدل ولا بد أن يكون هذا بحيث يجوز أن يخاطب الناس ويلزمهم السنة ولا بد من أن يكون هذا انساناً . ولا يجوز أن يترك الناس وآراءهم في ذلك فيختلفون ويرى كل منهم ما له عدلا وما عليه ظلماً فالحاجة الى هذا الانسان في أن يبقى

---

(١) الامارات . المسألة الرابعة من الخط التاسع .

نوع الناس ويتحصل وجوده أشد من الحاجة الى إنبات الشعر على الأشفار ، وعلى الحاجبين ، وتقعير الأخمص من القدمين ، وأشياء اخرى من المنافع التي لا ضرورة اليها في البقاء بل أكثر ما لها أنها تنفع في البقاء ، ووجود الانسان الصالح لأن يسن ويعدل ممكن كما سلف منا ذكره . فلا يجوز أن تكون العناية الأولى تقتضي تلك المنافع ولا تقتضي هذه التي هي أسها ولا أن يكون المبدأ الأول والملائكة تعلم ذلك ولا تعلم هذا . ولا أن يكون ما يعلمه في نظام الأمر الممكن وجوده الضروري حصوله لتمهيد نظام الخير ولا يوجد بل كيف يجوز أن لا يوجد وما هو متعلق بوجوده ومبني على وجوده موجود فواجب إذاً أن يوجد نبيٌّ وواجب أن يكون انساناً وواجب أن يكون له خصوصية ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد لهم فيتميز به عنهم . فتكون له المعجزات التي أخبرنا بها فهذا الانسان إذا وجد وجب أن يسن للناس في امورهم سنناً بأمر الله تعالى واذنه ، ووحيه ، وإنزاله الروح القدس عليه ، فيكون الأصل فيما يسنه تعريفه إياهم أن لهم صانعاً واحداً قادراً ، وأنه عالم بالسر والعلانية ، وأن من حقه أن يطاع أمره . وأنه يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق » (١) .

« والرسالة هي إذا ما قيل من الافاضة المسماة وحياً على أي عبارة استصوبت لصلاح عالمي البقاء والفساد علماً وسياسة ، والرسول هو المبلغ ما استفاد من الافاضة المسماة وحياً على عبارة

« ١ » الهيات النجاة ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

استصوبت ليحصل بآرائه صلاح العالم الجسمي بالسياسة ، والعالم العقلي بالعلم » (١) .

« وإن كان كل فاضل يسود المفضول ويرؤسه فاذاً النبي يسود ويرؤس الأجناس التي فضلها » (٢) .

الامامة

وقد اشترط ابن سينا الأفضلية في خليفة الزمان وثبوت النص والاجماع عليه وخصوصاً التنصيص كما يشير الى ذلك في كتابه الشفاء :

« إن رأس الفضائل فقه ، وحكمة ، وشجاعة ، ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد ، ومن فاز مع ذلك بالخواص النبوية كاد أن يصير رباً انسانياً يحل عبادته بعد الله تعالى ، وهو سلطان العالم الارضي وخليفة الله فيه » (٣) الى غير ذلك مما بالغ في اشتراطه في الخلافة

وللشيخ الرئيس رسالة في أمر الامام المنتظر [ع] جمع فيها بين النقل والعقل فهو يقول فيها :

« فيصل الفيض الرباني اليه ، ويتلقى العلوم اللدنية والاخلاق السنية ، فيتحلى بها علماً وعملا ، وتتفطن له بعض الناس فتسأله عن حاله . . .

« ١ » رسالة اثبات النبوات .

« ٢ » نفس المصدر .

« ٣ » نبوات الشفاء ، وللتوسع في هذا البحث راجع مجالس المؤمنين ج ٢ ص ٣٢٢ ، روضات الجنات ج ٣ ص ٢٤٥ ، وناموه دانشوران ناصري ج ١ ص ١٦٦ .

ويخرج مع طائفة يسيرة من أخيار المؤمنين الصادقين وله أصحاب مفرّقون قد خبأهم الله له يُعرّفهم بأحواله ويُعرّفه بأحوالهم، ومواضعهم، ويكتب الى بعضهم كتباً لما يكونون الى الوقت المعلوم . . .

ثم يذكر مسيره وسفره الى مكة مع مَن معه من الاصحاب القليلين، وما يحدث بمكة من التشويش ومبايعته ومحاربة ملك الشام له وهو من بني سفيان » (١). الى غير ذلك مما هو مذكور في علامات ظهوره ومسيره وسيرته .

النفس

وللنفس عند ابن سينا المقام الأول في جميع ما عالجه من الموضوعات، وأنه قد اهتم بها اهتماماً كبيراً يدل على مبلغ عنايته بذلك، وله في النفس آراء ومذاهب خاصة تشتمل على اصول وفروع كثيرة فهو يقول بمغايرة النفس للبدن وبأنها جوهر روحي مجرد، وبأنها مشخصة ومستكملة لقوتها النظرية، ومتأثرة في ملكاتها الخلقية بالجسد، وإنها مدركة بذاتها، وانها خالدة مع ادراكاتها الى الأبد .

وقد جمع هذه الآراء في قصيدته العينية وأوضحها في صورة أدبية رمزية جميلة . (٢)

« ١ » رسالة خطية في أمر المهدي، وقد أثبتناها خطأ ضمن مؤلفاته المفقودة ولعل هناك غيرها من المفقودات .

« ٢ » انظر ص ٨٧، ٨٨ من هذا الكتاب .

ولابن سينا مباحث كثيرة في النفس (١) أهمها إثبات وجود النفس ، وحدوثها ، وبيان قواها ووحدتها ، واكتسابها للمعرفة ، وخلودها .

إثبات النفس

ويستدل الشيخ الرئيس على وجود النفس بأن العقل بقوته الذاتية يمكنه أن يبرهن على اثباتها وذلك بالحدس والمحاكمة معاً « فنحن ندرك بالحدس ، ونشعر أن بين جنبينا نفساً متحركة حاسة ونشاهد في الوقت نفسه أجساماً تحس ، وتتحرك بالارادة ثم نشاهد ايضاً أجساماً تتغذى ، وتنمو ، وتتولد ، وندرك أن هذه الصفات ليست لتلك الأجسام بجسميتها بل هي ناشئة عن ذواتها المحركة ، والشيء الذي تصدر عنه هذه الأفعال نسميه نفساً » (٢) .

تنبيه :

« إرجع إلى نفسك ، وتأمل :

إذ كنتَ صحيحاً ، بل وعلى بعض أحوالك غيرها ، بحيث تغْطُن للشيء فطنةً صحيحة ، هل تَغْفُلُ عن وجود ذاتك ، ولا تثبت نفسك ؟!

ما عندي : أن هذا يكون المستبصر ، حتى إن النائمَ في نومه ، والسكران في سكره ، لا تعزب ذاتُه عن ذاته ،

« ١ » انظر ص ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٥ ـ ١١٧ من هذا الكتاب .

« ٢ » الشفاء الفن السادس من المقالة الاولى من الفصل الاول .

وإن لم يثبت تمثُّلهُ لذاته في ذكره .

ولو توهمتَ ذاتك قد خُلِقَتْ أولَ خَلْقِها ، صحيحةَ العقل والهيأةِ .

وفرض أنها على جملة من الوضع والهيأة . بحيث لا تنظرُ أجزاءَها ، ولا تتلامس أعضاؤهـــا ، بل هي مُنْفَرِجَةٌ ومُعلَّقةٌ لحظةً ما ، في هواء طَلْق .

وجدتها قد غفلتْ عن كل شيء ، إلا عن ثبوت أنيتها .

تنبيه :

بما تدرك حينئذ — وقبله ، وبعدَه — ذاتك ؟!

وما المدرَكُ من ذاتك ؟!

أترى المُدرِكَ أحد مشاعرك مشاهدةً ؟!

أم عقلكَ ، وقوة غيرَ مشاعرك ، وما يناسبها ؟!

فإن كان عقلك ، وقوةً غير مشاعرك بها تدرك :

أفبوسطٍ تُدرِكُ ؟!

أم بغير وسط ؟!

ما أظنك تفتقر في ذلك حينئذ إلى وسط ، فانه لا وسط .

فبقِيَ أن تدركَ ذاتك من غير افتقـارٍ الى قوة اخرى ، والى وسط .

فبقي أن يكون بمشاعرك ، أو بباطنك ، بلا وسط .

ثم انظر » (١)

« ١ » الاشارات المسألة الاولى من النمط الثالث .

حدوث النفس

« ونقول إن الأنفس الانسانية متفقة في النوع والمعنى فان وجدت قبل البدن فاما أن تكون متكثرة الذوات أو تكون ذاتاً واحدة — ومحال أن تكون ذوات متكثرة وأن تكون ذاتاً واحدةً على ما يتبين فمحال أن تكون قد وجدت قبل البدن . . . » (١)

تنبيه :

« انظر الى حكمة الصانع
بدأ فخلقَ اصولا .
ثم خلق منها أمزجةً شتى
وأعدَّ كلَّ مزاجٍ لنوع
وجعل أخرجَ الأمزجةِ عن الاعتدالِ لأخرجِ الانواع عن الكمال
وجعل أقربَها من الاعتدال المكنِ ، مزاجَ الانسان لتستوْكِرهُ نفسُه الناطقةُ » (٢)

وحدة قوى النفس

« ان قوى روح الانسان تنقسم الى قسمين : قسم موكل بالعمل وقسم موكل بالادراك » (٣)

« ١ » طبيعيات النجاة ص ١٨٣ .
« ٢ » الاشارات المسألة الخامسة عشر من النمط الثاني .
« ٣ » رسالة القوى الانسانية وادراكاتها .

وهذه القوى إما أن تكون نباتية ، وإما أن تكون حيوانية ، وإما أن تكون انسانية .

فالنفس النباتية : « وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد ، ويربو ، ويغتذي » (١)

« وهذي ثلاثة أفعال لثلاث قوى :

أولها : الغاذية .

وتخدمها ، الجاذبة للغذاء ، والماسكة للمجذوب ، إلى أن تهضمه الهاضمة المُغيّرة ، والدافعة للثفل .

والثانية : المنمّية الى كمال النشوء ، فإن الأنماء غير الاسمان

والثالثة : المولّدة للمثل ، وتنبعث بعد فعل القوتين ، مستخدمة لهما .

لكنّ النامية تقف أولا .

ثم تقوى المولدة فتقف أيضاً .

وتبقى الغاذية عمّالة ، الى أن تعجز فيحل الأجل » (٢)

فالقوى النباتية إذن ثلاث : المولدة ، والمنمية ، والغاذية ، وهي موجودة في النبات ، والحيوان ، والانسان .

والنفس الحيوانية « وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد ما يدرك الجزئيات ، ويتحرك بالارادة » (٣) .

« وللنفس الحيوانية قوتان : محركة ومدركة

« ١ » طبيعيات النجاة ص ١٥٨ .

« ٢ » الاشارات المسألة الاولى من النمط الثالث .

« ٣ » طبيعيات النجاة ص ١٥٨ .

والمحركة على قسمين :

إما محركة بأنها باعثة

وإما محركة بأنها فاعلة

والمحركة على أنها باعثة هي القوة النزوعية ، والشوقية ولها شعبتان : القوة الشهوانية ، والقوة الغضبية .

أما الفاعلة فهي قوة تجذب الاوتار العصبية وترخيها ، أو تمددها طولا .

وأما المدركة فتنقسم قسمين فان منها :

قوة تدرك من خارج

ومنها قوة تدرك من داخل

والمدركة من خارج هو الحواس الخمسة أو الثمانية وهي : البصر ، والسمع ، والشم ، والذوق ، واللمس .

وحاسة اللمس هذه وهي قوة منبثة في جلد البدن كله ولحمه ، فاشية فيه .

ويشبه أن تكون هذه القوة لانوعا واحداً بل جنساً لاربع قوى منبثة معاً في الجلد كله .

فالواحدة حاكمة في التضاد الذي بين الحار والبارد .

والثانية حاكمة في التضاد الذي بين اليابس والرطب .

والثالثة حاكمة في التضاد الذي بين الصلب واللين .

والرابعة حاكمة في التضاد بين الخشن والاملس .

إلا أن اجتماعها معا في آلة واحدة يوهم تأحدها في الذات » (١)

« ١ » طبيعيات النجاة ص ١٥٨ الى ١٦٠

وأما الحركات الاختيارية فهي أشد انفسانية ، وهما مبدأ عازم مجمع ، مذعنا ومنفعلا عن خيال ، أو وهم ، أو عقل تنبعث عنها قوة غضبية دافعة للضار ، أو قوة شهوية جالبة للضروري ، أو النافع الحيوانيين .

فيطيع ذلك ، ما أنبت في العضل ، من القوى المحركة ، الخادمة لتلك الآمرة » (١)

الادراك الباطن

« وأما الخيال الباطن ، فيتخيله مع تلك العوارض ، لا يقتدر على تجريده المطلق عنها ، لكنه يجرده عن تلك العلاقة المذكورة التي تعلق بها الحس فهو يتمثل صورته مع غيبوبة حاملها (٢)

« وأما القوة المدركة من باطن فبعضها :

قوى تدرك صورة المحسوسات

وبعضها قوى تدرك معاني المحسوسات

ومن المدركات :

ما يدرك ويفعل معاً .

ومنها ما يدرك ولا يفعل .

ومنها ما يدرك ادراكا أولياً .

ومنها ما يدرك ادراكا ثانياً .

والفرق بين ادراك الصورة ، وادراك المعنى أن الصورة هو الشيء الذى تدركه النفس الباطنة ، والحس الظاهر معا ، لكن

« ١ » الاشارات المسألة الثانية من تكملة النمط الثالث.

« ٢ » الاشارات المسألة الخامسة من النمط الثالث.

الحس الظاهر يدركه أولا ويؤديه إلى النفس .

ومن القوى الباطنة :

قوة الخيال أو المصورة وهي قوة مرتبة في آخر التجويف المقدم من الدماغ تحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية وتبقى فيه بعد غياب المحسوسات . لأن قوة القبول هي غير قوة الحفظ .

والقوة المتخيلة وهي قوة مرتبة في التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها أن تركب بعض ما في الصور مع بعض وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار .

والقوة الوهمية وهي قوة مرتبة في نهاية التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعاني غير المحسوسة كالقوة الحاكمة بأن الذئب مهروب منه ، وأن الولد معطوف عليه .

والقوة الحافظة أو الذاكرة وهي قوة مرتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية . ونسبة القوة الحافظة الى الوهمية كنسبة القوة التي تسمى خيالا الى الحس المشترك . فالحافظة تحفظ المعاني ، والخيال يحفظ الصور» (١)

اشارة :

« لعلك تنزع الآن إلي .

أن نشرح لك من أمر القوى المدركة من باطن أني شرح .

وأن نقدم شرح أمر القوى المناسبة للحس أولاً .

فاسمع .

« ١ » طبيعيات النجاة ص ١٦٢ ، ١٦٣

. فعندكَ قوةٌ قبلَ البصر، اليها يؤدي البصرُ ، كالمشاهدة ، وعندها تجتمع المحسوسات فتدركها .

وعندكَ قوةٌ تحفظ مثل المحسوسات ، بعد الغيبة ، مجتمعة فيها .

وبهاتين القوتين يمكنك أن تحكم : أن هذا اللونَ غيرُ هذا الطعم ، وان لصاحب هذا اللون هذا الطعمَ ، فان القاضيَ بهذين الأمرين يحتاج إلى أن يحضره المقضي عليها جميعا .

فهذه قوى

وأيضا فإن الحيوانات : ناطقها ، وغير ناطقها ، تدرك من المحسوسات الجزئية ، معاني جزئية غير محسوسة ، ولا متأدية من طريق الحواس :

مثلُ ادراك الشاة معنىً في الذئب غيرَ محسوس ، وإدراك الكبش معنىً في النعجة ، غير محسوس .

إدراكا جزئيا ، تحكم به كما يحكم الحس بما يشاهده .

فعندكَ قوةٌ ، هذا شأنها .

وأيضا : فعندك ، وعند كثير من الحيوانات العجم ، قوةٌ تحفظ هذه المعاني ، بعد حكم الحاكم بها ، غيرُ الحافظة للصور .

ولكل قوةٍ من هذه القوى آلة جسمانية خاصة ، واسم خاص .

فالاولى هي المسماة بـ (الحس المشترك) و (بنطاسيا)

وآلتها الروح المصبوب في مبادىء عصب الحس ، لاسيما في مقدم الدماغ .

والثانية : المسماة بـ (المصورة) و (الخيال)
وآلتها الروحُ المصبوب في البطن المقدم ، لاسيما في جانبه الأخير .

الثالثة : الوهم
وآلتها الدماغ كله ، ولكن الاخص بها هو التجويف الأوسط وتخدمها فيه .

قوةٌ رابعة : لها أن تُركب ، وتفصل مايليها :
من الصور المأخوذة عن الحس .
والمعاني المدركة بالوهم .
وتُركب أيضا الصور بالمعاني ، وتفصلها عنها .
وتسمى عند استعمال العقل (مفكرة)
وعند استعمال الوهم (متخيلة)
وسلطانها في الجزء الاول من التجويف الاوسط
وكأنها قوةٌ ما
لـ (الوهم)
وبتوسط الوهم لـ (العقل)
والباقيةُ من القوى هي :
الذاكرة :
وسلطانها في حيز الرّوح ، الذي في التجويف الأخير ، وهو آلتها .

وإنما هدى الناس الى القضية بأن هذه هى الآلات : أن الفساد إذا اختص بتجويف أورث الآفة فيه » (١)

« ١ » الاشارات المسألة السادسة من النمط الثالث.

النفس الانسانية « وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الافعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي ، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية » (١) « وتنقسم الى قوة عاملة ، وقوة عالمة ، وكل واحدة من القوتين تسمى عقلاً باشتراك الاسم .

العاملة هي العقل العملي ،

والعالمة هي العقل النظري ،

فالعاملة قوة هي مبدأ محرك لبدن الانسان إلى الافاعيل الجزئية الخاصة بالروية على مقتضى آراء تخصها اصلاحية

ولها اعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية النزوعية واعتبار بالقياس إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة و اعتبار بالقياس إلى نفسها

وقياسها إلى القوة الحيوانية النزوعية أن تحدث فيها هيئات تخص الانسان ، تتهيأ بها لسرعة فعل ، وانفعال ، مثل الخجل ، والحياء ، والضحك ، والبكاء ، وما أشبه ذلك

وقياسها الى القوة الحيوانية المتخيلة ، والمتوهمة هو أن تستعملها في استنباط التدابير في الأمور الكائنة ، والفاسدة ، واستنباط الصناعات الانسانية

وقياسها إلى نفسها أن فيما بينها وبين العقل النظري تتولد الآراء الذائعة المشهورة مثل ان الكذب قبيح ، والظلم قبيح وما أشبه ذلك من المقدمات المبينة الانفصال عن العقلية

« ١ » طبيعيات النجاة ص ١٥٨

المحضة في كتب المنطق .

وهذه القوة هي التي يجب أن تتسلط على سائر قوى البدن على حسب ماتوجبه أحكام القوة الاخرى .

وأما القوة النظرية ، وهي « العالمة » فهي القوة التي له بالقياس إلى الجنبة التي فوقه لينفعل ، ويستفيد منه ويقبل عنه

وكأن للنفس منا وجهين :

وجه إلى البدن ، ويجب أن يكون هذا الوجه غير قابل البتة أثراً من جنس مقتضى طبيعة البدن

ووجه إلى المبادئ العالية ، ويجب أن يكون هذا الوجه دائم القبول عما هناك ، والتأثير منه هذا»(١)

« وهي من شأنها أن تنطبع بالصورة الكلية المجردة عن المادة فان كانت مجردة بذاتها فذاك ، وإن لم تكن فانها تصيرها مجردة بتجريدها إياها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة شئ .

وهذه القوة النظرية لها إلى هذه الصور نسب وذلك لان الشئ الذي من شأنه أن يقبل شيئاً قد يكون بالقوة قابلا له ، وقد يكون بالفعل

والقوة تقال على ثلاثة معان بالتقديم ، والتأخير ، فالقوة الاولى الهيولانية : وهي قوة للاستعداد المطلق الذي لا يكون خرج منه إلى الفعل شئ ، ولا أيضا حصل مابه يخرج .

وهذه كقوة الطفل على الكتابة ويقال قوة لهذا الاستعداد

«١» طبيعيات النجاة ص ١٦٣ ، ١٦٤

إذا كان لم يحصل للشيء إلا ما يمكنه به أن يتوصل إلى اكتساب الفعل بلا واسطة كقوة الصبي الذي ترعرع ، وعرف القلم والدواة وبسائط الحروف على الكتابة .

ويقال قوة لهذا الاستعداد إذ تم بالآلة ، وحدث مع الآلة ايضاً كمال الاستعداد بأن يكون له ان يفعل متى شاء بلا حاجة إلى الاكتساب بل بكيفية أن يقصد فقط ، كقوة الكاتب المستكمل للصناعة إذا كان لا يكتب .

والقوة الثانية : تسمى قوة ممكنه وربما سميت ملكة

والقوة الثالثة : تسمى ملكة أو كمال قوة

فالقوة النظرية إذاً تارة تكون نسبتها إلى الصورة المجردة التي ذكرناها نسبة ما بالقوة المطلقة حتى تكون هذه القوة للنفس التي لم تقبل بعد شيئاً من الكمال الذي يحسبها

وحينئذ تسمى عقلا هيولانيا

وهذه القوة التي تسمى عقلا هيولانيا موجودة لكل شخص من النوع .

وإنما سميت هيولانية تشبيها بالهيولى الأولى التي

ليست هي بذاتها ذات صورة من الصور ، وهي موضوعة لكل صورة ، وتارة نسبة ما بالقوة الممكنه ، وهي ان تكون القوة الهيولانية قد حصل فيها من الكمالات المعقولات الأولى التي يتوصل منها وبها الى المعقولات الثانية

وعند العقل المستفاد يتم الجنس الحيواني ، والنوع الانساني منه ، وهناك تكون القوة الانسانية تشبهت بالمبادىء

الأولية للوجود كله » (١)

اشارة :

وأما نظير هذا التفصيل فى قوى النفس الانسانية على سبيل التصنيف فهو :

ان النفس الانسانية التي لها أن تعقل ، جوهر : له قُوى ، وكمالات .

فمن قواها :

مالها بحسب حاجتها الى تدبير البدن .

وهي القوة التي تخص باسم « العقل العملي »

وهى التي تستنبط الواجبات فيما يجب أن يفعل ، من الامور الانسانية الجزئية : ليتوصل به الى أغراض اختيارية من مقدمات أولية ، وذائعة ، وتجريبية .

وباستعانة بالعقل النظري ، في الرأي الكلي ، إلى أن تنتقل به الى الجزئي .

ومن قواها :

مالها بحسب حاجتها الى تكميل جوهرها ، عقلا بالعقل : فأولها :

قوة استعدادية لها ، نحو المعقولات .

وقد يسميها قوم « عقلا هيولانيا » وهى « المشكاة » .

وتتلوها قوة أخرى :

تحصل لها عند حصول المعقولات الاول لها .

« ١ » طبيعيات النجاة : ص ١٦٥ ، ١٦٦

فتتهيأ بها لاكتساب الثواني .

إما بالفكرة ، وهي « الشجرة الزيتونة » إن كانت أضعف أو بالحدس ، فهي زيت أيضا ، إن كانت أقوى من ذلك .

فتسمى « عقلاً بالملكة » وهي « الزجاجة »

والشريفة البالغة منها ، قوة قدسية ، يكاد زيتها يضيء ، ولو لم تمسه نار .

ثم يحصل لها بعد ذلك قوة وكمال ،

وأما الكمال ، فان تحصل لها المعقولات بالفعل مشاهدة ، متمثلة في الذهن ، وهو « نور على نور » .

وأما القوة فان يكون لها أن تحصل المعقول المكتسب المفروغ منه كالمشاهد ، متى شاءت ، من غير افتقار إلى اكتساب ، وهو المصباح .

وهذا الكمال ، يسمى « عقلا مستفادا »

وهذه القوة ، تسمى « عقلا بالفعل »

والذي يخرج من :

« الملكة » الى « الفعل التام » .

ومن « الهيولاني » أيضا الى « الملكة » .

فهو « العقل الفعال » وهو النار » (١)

اكتساب النفس الناطقة للمعرفة

« واعلم ان التعلم سواء حصل من غير المتعلم أو حصل من

---

(١) الاشارات المسألة السابعة من النمط الثالث .

نفس المتعلم متفاوت ، فان من المتعلمين من يكون أقرب إلى التصور لأن استعداده الذى قبل الاستعداد الذى ذكرناه أقوى فان كان ذلك الانسان مستعداً للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد القوي حدساً ـ وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال الى كبير شيء والى تخريج وتعليم ، بل يكون شديد الاستعداد . لذلك كان الاستعداد الثاني حاصل له ، بل كأنه يعرف كل شيء في نفسه ـ وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد ، ويجب أن تسمى هذه الحال من العقل الهيولاني عقلا قدسياً وهو من جنس العقل بالملكة إلاّ أنه رفيع جداً ليس مما يشترك فيه الناس كلهم ولا يبعد أن تفيض هذه الافعال المنسوبة إلى الروح القدسي لقوتها واستعلائها فيضاناً على المتخيلة أيضا فتحاكيها المتخيلة أيضا بأمثلة محسوسة ومسموعة من الكلام على النحو الذى سلفت الاشارة اليه » (١)

الحدس والتعليم

« ومما يحقق هذا أن من المعلوم الظاهر أن الامور المعقولة التي يتوصل الى اكتسابها انما تُكتَسب بحصول الحد الاوسط في القياس ـ وهذا الحد الأوسط قد يحصل ضربين من الحصول: فتارة يحصل بالحدس ، والحدس فعل للذهن يستنبط به

---

(٣) طبيعيات النجاة ص ١٦٦، ١٦٧.

بذاته الحد الاوسط ، والذكاء قوة الحدس .

وتارة يحصل بالتعليم ومبادئ التعليم الحدس ، فان الاشياء تنتهي لامحالة الى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس ثم أدّوها الى المتعلمين .

فجائز أن يقع للانسان بنفسه الحدس وأن ينعقد في ذهنه القياس بلا معلم وهذا مما يتفاوت بالكم والكيف .

أما في الكم فلأن بعض الناس يكون أكثر عدد حدس للحدود الوسطى .

وأما في الكيف فلأن بعض الناس أسرع زمان حدس .

ولأن هذا التفاوت ليس منحصراً في حدّ بل يقبل الزيادة والنقصان دائماً ، وينتهي في طرف النقصان الى من لا حدس له البتة ، فيجب أن ينتهي أيضاً في طرف الزيادة إلى من له حدس في كل المطلوبات أو أكثرها ، أو إلى من له حدس في أسرع وقت وأقصره فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادي العقلية الى أن يشتعل حدساً ، أعني قبولا لالهام العقل الفعّال في كل شيء ، فترتسم فيه الصور التي في العقل الفعال من كل شيء إما دفعه ، وإما قريباً من دفعة ارتساماً لاتقليدياً ، بل بترتيب يشتمل على الحدو الوسطى . فان التقليديات في الأمور التي إنما تعرف بأسبابها ليست بيقينية عقلية ، وهذا ضرب من النبوة بل أعلى قوى النبوة . والأولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية وهي أعلى مراتب

القوى الإنسانيه » (١)

الحدس والفكرة

تنبيه :

لعلك تشتهي الآن أن تعرف الفرق بين « الفكرة » و « الحدس » فاسمع :

أما « الفكرة » فهي حركةٌ ما ، للنفس ، في المعاني مستعينةً بالتخيل في أكثر الأمر :

تطلب بها « الحد الأوسط » أو ما يجري مجراه ، مما يصار به إلى علم بالمجهول ، حالة الفقدان . استعراضاً للمخزون في الباطن ، أو ما يجري مجراه .

فربما تأدت إلى المطلوب ، وربما انبتت .

وأما « الحدسُ » : فأن يتمثل « الحدس الأوسط » في الذهن ، دفعةً :

إما عقيبَ طلبٍ وشوق ، من غير حركة .

واما من غير اشتياقٍ وحركةٍ .

ويتمثل معه ، ما هُوَ وسطٌ له ، أو في حكمه » (٢)

اشارة :

ولعلك تشتهي أن تعرف ، زيادة دلالة على القوة القدسية ، وإمكان وجودها فاسمع .

« ١ » طبيعيات النجاة ص ١٦٧ ، ١٦٨

« ٢ » الاشارات المسألة الثامنة من النمط الثالث .

ألست تعلم : أن للحدس وجودا ، وأن للناس فيه مراتب ؟ !

وفي الفكر ؟ ! فمنهم غبي لا يعود الفكر عليه بزيادة .

ومنهم من له فطانة ، إلى حد ما ، ويستمتع بالفكر .

ومنهم من هو أثقف من ذلك ، وله إصابة في المعقولات بالحدس وتلك الثقافة غير متشابهة في الجميع .

بل ربما قلت ، وربما كثرت .

وكما أنك تجد جانب النقصان منتهياً إلى عديم الحدس ، فأيقن أن الجانب الذي يلي الزيادة ، يمكن انتهاؤه إلى غنى في أكثر أحواله ، عن التعلم والفكر » (١)

خلود النفس

يرى الشيخ الرئيس أن النفوس متعددة بتعدد الأبدان ، كلما وجد بدن صالح للحياة وجدت له نفس خاصة به ، وحدوث النفس بحدوث الجسد لا يلزمه بطلان النفس ببطلان الجسد بل هي خالدة لأن النفس مغايرة بجوهرها لجوهر الجسد الذي ينحل وتتبدل صورته ، والبدن مملكة النفس تتصرف به .

قال في النجاة « ونقول انها لا تموت بموت البدن ولا تقبل الفساد أصلا ،

أما انها لا تموت بموت البدن فلأن كل شيء يفسد بفساد شيء آخر فهو متعلق به نوعا من التعايق ، وكل متعلق بشيء نوعاً من التعليق

---

(١) الاشارات المسألة التاسعة من النمط الثالث

وأما أن يكون تعلقه به تعلق المكافي، في الوجود ، وذلك أمر ذاتي له لا عارض ، فكل واحد منهما مضاف الذات إلى صاحبه ، فليس لا النفس ولا البدن بجوهر لكنهما جوهران . وإن كان ذلك أمراً عرضياً لا ذاتياً ، فاذا فسد أحدهما بطل العارض الأخر من الأضافة ، ولم تفسد الذات بفساده .

وإما أن يكون تعلقه به تعلق المتأخر عنه في الوجود ، فالبدن علة للنفس في الوجود حينئذ ، والعلل أربع :

الأولى علة فاعلية للنفس معطية لها الوجود ، ومحال أن تكون فأن الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئا ، وإنما يفعل بقواه ، ولو كان يفعل بذاته لا بقواه لكان كل جسم يفعل ذلك الفعل ، ثم القوى الجسمانية كلها اما اعراض ، واما صور مادية ، ومحال أن تفيد الاعراض أو الصور القائمة بالمواد وجود ذات قائمة بنفسها لا فى مادة ، ووجود جوهر مطلق .

والثانية علة قابلية لها بسبيل التركيب كالعناصر للأبدان ، أو بسبيل البساطة كالنحاس للصنم ، ومحال أن يكون علة قابلية فان النفس ليست منطبعة فى البدن بوجه من الوجوه ، فلا يكون إذاً البدن متصوراً بصورة النفس لا بحسب البساطة ولا على سبيل التركيب ، بأن يكون أجزاء من أجزاء البدن.

والثالثة علة صورية

والرابعة علة كمالية ومحال أن يكون علة صورية للنفس أو كمالية ، فان الأولى أن يكون الأمر بالعكس .

فاداً ليس تعلق النفس بالبدن تعلق معلول بعلة ذاتية .

وأن يكون تعلقه به تعلق المتقدم عليه في الوجود الذى هو قبله فاما أن يكون التقدم مع ذلك زمانيا فيستحيل أن يتعلق وجوده به وقد تقدمه في الزمان وأما ان يكون التقدم في الذات لا في الزمان لأنه في الزمان لا يفارقه ، وهذا النحو من التقدم هو أن تكون الذات المتقدمة كلما توجد يلزم أن يستفاد عنها ذات المتأخر في الوجود وحينئذ لا يوجد هذا التقدم في الوجود اذا فرض المتأخر قد عدم »

« فأصل القوى المدركة والمحركة والحافظة للمزاج شيء آخر لك أن تسميه النفس ... » (١)

وفي التناسخ يقول : « اذا فرضنا نفساً تناسخها أبدان وكل بدن فانه بذاته يستحق نفسا تحدث له وتتعلق به فيكون البدن الواحد فيه نفسان معا ...

وكل حيوان فانه يستشعر نفسه نفسا واحدة هى المصرفة والمدبرة ، فان كان هناك نفس أخرى لا يشعر الحيوان بها ولا هى بنفسها ، ولا تشتغل بالبدن فليس لها علاقة مع البدن لأن العلاقة لم تكن إلا بهذا النحو فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه .. » (٢)

« فأما التناسخ في أجسام من جنس كانت فيه ، فمستحيل ، والا لاقتضى كل مزاج نفسا تفيض اليه ، وقارنتها النفس

« ١ » الاشارات المسألة الثانية من النمط الثالث .

« ٢ » طبيعيات النجاة ص ١٨٥ الى ١٨٩ والشفاء الفن السادس من المقالة الاولى من الفصل الثالث .

المستنسخة ، فكان لحيوان واحد نفسان .

ثم ليس يجب أن يفصل كل فناء بكون ، ولا أن يكون عدد الكائنات من الأجسام ، عدد ما يفارقهـا من النفوس ، ولا أن تكون عدة نفوس مفارقة ، تستحق بدناً واحداً فتتصل به أو تدافع عنه ممانعة » (١) .

المعاد

ولابن سينا في المعـاد آراء متضاربة جلبت عليه الكثير من المطاعن ، وذلك لأنها تفسر على وجوه عديدة .

ومن رسائله الخطية رسالة إثبات المعـاد الجسماني (٢) نسأله تعالى التوفيق على نشرها مع بقية رسائله الخطية الموجودة لدينا .

وفي المعاد يقول : « يجب أن تعلم أن المعاد منه مقبول من الشرع ولا سبيل إلى اثباته إلا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عنـد البعث وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج إلى أن تعلم .

وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها نبينا صلى الله عليـه وآله حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن . ومنـه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني ، وقد صدقته النبوّة ، وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالمقاييس اللتان للأنفس ، وإن

« ١ » الاشارات المسألة السابعة من النمط الثامن .

« ٢ » انظر ص ١٠٧ وفي المعاد انظر ص ٩٧ ، ١٠٢ ، وفي السعادة انظر ص ١١١ من هـذا الكتاب.

كانت الأوهام منا تقصر عن تصورها الآن ... » (١)

ويقول ابن سينا ايضاً : « ان كل انسان يخرج من هـذا العالم يتلقاه ملائكة الرحمة ، أو ملائكة العذاب فيحملونه الى البرزخ — والبرزخ هو قبر النفس — فان كانت هي مؤمنة فتح الله لهـا بابا من الجنة ، وإن كانت كافرة فتح الله لها بابا من النار إلى ذلك القبر الذي هي فيه ... »

إنا نكون في البرزخ أيقاظاً واجدين من اللذات الروحانية والصور التي تصحبنا من هذا العالم من العلم ، والعمل في الخير والشر ... » (٢)

« النفس الانسانية إذا فارقت وهي هيولانيـة لم تتصور بعد بشيء من الصور المعقولة التي بها تقوم بالفعل عقلا » (٣) .

الثواب والعقاب

« إذا كان الثواب هو البقاء في العناية الإلهيـة الاولى مع عدم النزاع الى ما لا سبيل إليه من الأشياء العلمية والعمليه ، ولا يحصل ذلك إلا بعد الاستكمال من العمليات ، ومجـانبة خسائس العمليات لئلا تعود عادة ، وملكة تتوق إليها النفس توقان الالوف فيعتذر الصبر عنها ، وعليها ، ولن يحصل ذلك إلا بعد مخالفة النفس الحيوانية فى أفعالها العملية ، وإدراكاتها

« ١ » الهيات النجاة ص ٢٩١ .

« ٢ » رسالة المبدأ والمعاد .

« ٣ » رسالة في السعادة .

العلمية إلا ما لابد منه ، فما هلك من هلك إلا بمطابقة الوهم من القوى الحيوانية الحاكم على الصورة المجردة في غيبة الحواس بالكذب ، والجسور المتسم بسمة العقل الهيولاني بحلية اللب ، لا جرم لا يعري عن إرتياب في مقلده ، وارتداد في معتقده ، وفساد منتظر ، وعطب مستقبل . فاذا فسد بالصورة المعتقدة وجد النفس الناطقة في مطابقتها له نوعا من التطابق عارية عن الصور الشريفة العقلية المخرجة لها الى الفعل ، وقد احوجت طبعها إدراك مانعها كحجر شاله الى العلو شائل ، فبلغ به غير مركزه الطبيعي ، ففارقه ، فأنثنى الى السفل هابطاً ، وإلى طبيعته معاوداً . . . » (١)

الأخلاق والتصوف

وآراء الشيخ الرئيس في الاخلاق والتصوف متفرقة في ثنايا مصنفاته على انه يختصرها في جملة من رسائله وفصول من كتبه

الاخلاق

وفي الاخلاق يلخص الفضيلة في اصول وهي : العفة ، والشجاعة ، والحكمة ، والعدالة ، المنسوبة الى كل قوة من القوى الانسانية ، والتجنب عن الرذائل بأزائها .

« فأما العفة فالى القوة الشهوانية ، والشجاعة الى القوة الغضبية ، والحكمة الى القوة التميزية ، والعدالة اليها مجموعة عند استكمال كل واحدة بفضيلتها . . . » (٢)

« ١ » رسالة اثبات النبوات .

« ٢ » رسالة علم الأخلاق .

ويفرع كلامن هذه الاصول الى فروع متعددة ينسبها الى أحدى القوى مع بيان غايتها .

وفي رسالة العهد يذكر « إنه عاهد الله بتزكية نفسه بمقدار ما وهب لها من قوتها ليخرجها من القوة الى الفعل عالما من عوالم العقل فيه الهيأة المجردة عن المادة ، وتحصيل كمالها من جهة العلم ، والحكمة ، ثم يقبل على هذه النفس المتربية بكمالها الذاتي فيحرسها عن التلطخ بما يشينها من الهيئآت الانقيادية للنفوس المادية التي إذا ثبتت في النفس كان لها حالها عند الانفصال كحالها عند الانصال إذ جوهرها غير مخالط ، ولا مشارب ، وإنما يدنسها الهيأة الانقيادية لتلك الصواحب بل يفيدها هيئآت الاستيلاء ، والسياسة ، والاستعلاء ، والرئاسة حتى لا تقبل البتة من صواحبها حركة ، وانفعالا ، ولا تتغير لموجبات تغير حالاتها حالا برياضة يدوم عليها وان عسرت ، وإباءات للنفس يتولاها وإن شقت ، ولا يترك الخطرة تلوح بمقتضى شهوة ، أو غضب ، أو حرص ، أو طمع ، أو خوف مخالفة لجوهره الزكي إلا فسخه ، ونسخه ، ومحاه ومحقه ، ولا يدع فكره في نسخة نفسه ، وتخيلاتها تتعاطى إلا الفكرة في جلال الملكوت ، وجناب الجبروت يكون ذلك قصاراها لا تتعداها ، ولا يترك الخيال في نسخ البتة إلا مقدمة لرأي إعتقادي أو نظري لزينة الهيأة لتصير هيأة راسخه في جوهر النفس ، وذلك بذكر القدوس ، ولا يرخص السنة العقلية في إغفالها لكن يحجر على النفس ما لا ينبغي إذ لا فائدة

فيه فضلا عن فعله حتى يصير تخيل الواجب ، والصواب هيأة نفسانية ، وكذلك يهجر الكذب قولا ، وتخيلا حتى تحدث للنفس هيأة صدوقية فتصدق الأحلام ، والفكر ، وأن يجعل حب الخير للناس ، والمنفعة فضلا اليهم ، وعشق الأخيار وحب تقويم الأشرار وردعهم أمراً طبيعيـاً جوهرياً ، ويحتال لا يكون للموت عظيم خطر عنده ، وذلك بكثرة تشويق النفس إلى المعاد ، واخطارها بكل الفساد بالبـال حتى لا يتمكن تمكن المعتاد .

وأما اللذات فيستعملها على إصلاح الطبيعة ، وإبقاء الشخص أو النوع والسياسة . . . » (١)

تنبيه :

« العارف هش ، بش ، بسام ، يُبجل الصغير من تواضعه مثلما يبجل الكبير ، وينبسط من الخامل ، مثلما ينبسط من النبيه .

وكيف لا يهش ، وهو فرحان بالحق وبـكل شيء ، فانه يرى فيه الحق ؟!

وكيف لا يسوّي ، والجميع عنده سواسية أهل الرحمة قد شغلوا بالباطل . . . » (٢)

« ١ » رسالة العهد .

« ٢ » الاعارات المسألة السابعة من النمط التاسع .

ولم يكن ابن سينا متصوفاً في حياته لأنه لم يحتقر المتع واللذات ، ولا مجالس الانس والطرب . لذلك كان تصوفه متميزاً عن مذهب الصوفية ، فهو لا يدعو الى الزهد والتقشف، والانخلاع عن العالم .

وهو يفرق بين الزاهد ، والعابد ، والعارف،

فالزاهد هو المعرض عن متاع الدنيا .

والعابد هو المواظب على العبادات .

أما العارف فهو المنصرف بفكره إلى الافق الأعلى والمستديم لشروق النور عليه .

وطريقته الصوفية مذهب عقلي ينتهي إلى انتصار الذهن ، وإشراق العقل ، وتزكية النفس لتكون مستعدة لتلقي فيض العقل الفعال .

وفي فصل مقامات العارفين (١) يشرح الشيخ الرئيس احوال أهل الكمال من النوع الانساني ، وكيفية ترقيهم في مدارج سعادتهم ، والامور العارضة لهم في درجاتهم ، وبعد وصفه لمقاماتهم ، ودرجاتهم ، وشروط إرتقائهم يشير إلى حقيقة العبادة ، ورياضة المريد ، والنيل ، والوصول ، وصفات العارف مما يلاحظ إنه فهم التصوف فهماً عميقا ، وإنه راض نفسه على التصوف فى بعض ايامه .

(١) الاشارات المسألة السابعة من النمط التاسع.

وفي رسالة حي بن يقظان ، ورسالة سلامان وأبسال ، ورسالة الطير ، ورسالة العشق ، ورسالة القضاء والقدر ، وغيرها (١) وفي ثنايا مصنفاته الفلسفية موارد غنية لتحليل نزعته الصوفية ، والالمام بآرائه ومذاهبه فيها .

تنبيه :

« إن للعارفين مقامات ودرجات ، يخصون بها في حياتهم الدنيا ، دون غيرهم فكأنهم وهم في جلابيب من أبدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس ، ولهم امور خفية فيهم وأمور ظاهرة عنهم ، يستنكرها من ينكرها ، ويستكبرها من يعرفها ، ونحن نقصها عليك .

فاذا قرع سمعك فيما يقرعه ، وسرد عليك فيما تسمعه ، قصة لسلامان وأبسال ، فاعلم أن سلامان مثل ضرب لك ، وأن أبسالا مثل ضرب لدرجتك في العرفان ، إن كنت من أهله .

ثم حل الرمز إن أطقت . » (٢)

تنبيه :

« المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد .

والمواظب على نفل العبادات : من القيام والصيام ونحوهما ، يخص باسم العابد .

« ١ » انظر ص ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ من هذا الكتاب .

« ١ » الاشارات المسألة الثانية من النمط التاسع .

والمنصرف بفكره الى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق في سره ، يخص باسم العارف .

وقد يتركب بعض هذه مع بعض . » (١)

تنبيه :

« العارف له أحوال ، لا يحتمل فيها الهمس من الخفيف ، فضلا عن سائر الشواغل المخالجة .

وهي في أوقات انزعاجه بسرة الى الحق ، إذا باح حجاب من نفسه ، أو من حركة سره ، قبل الوصول... » (٢)

تنبيه :

« العارف لا يعنيه التجسس والتحسس ، ولا يستهويه الغضب عند مشاهدة المنكر ، كما تعتريه الرحمة ، فانه مستبصر بسر الله في القدر .

وإذا أمر بالمعروف أمر برفق ناصح ، ولا بعنف معير .

وإذا جسم المعروف فربما غار عليه من غير أهله » (٣) .

تنبيه :

« العارف شجاع ، وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت ؟! وجواد ، وكيف لا وهو بمعزل عن محبة للباطل ؟!

« ١ » الاشارات المسألة الثانية من النمط التاسع

« ٢ » الاشارات المسألة السابعة من النمط التاسع .

« ٣ » نفس المصدر .

وصفاح ، وكيف لا ونفسه أكبر من أن تحرجها زلة بشر ؟!

ونسأله للاعتقاد ، وكيف لا وذكره مشغول بالحق ؟!.

تنبيه :

ولعلك قد تبلغك عن العارفين ، أخبار تكاد تأتي بقلب العادة ، فتبادر الى التكذيب :

وذلك مثل مايقال : إن عارفا استسقى للناس ، فسقوا ، أو استشفى لهم فشفوا . أو دعا عليهم فخسف بهم وزلزلوا ، أو هلكوا بوجه آخر .

أو دعا لهم فصرف عنهم الوباء والموتان ، أو السعير ، أو الطوفان .

أو خشع لبعضهم سبع ، أو لم ينفر عنه طير .

أو مثل ذلك ، مما لا يأخذ في طريق الممتنع الصريح .

فتوقف ولا تعجل ، فان لامثال هذه أسبابا في أسرار الطبيعة . . . » (١)

السياسة

ويقصد الشيخ الرئيس بالسياسة (السياسات الأهلية) وقد ألف فيها رسالة خاصة (١) وفي رسالته هذه يبسط مجمل آرائه فهو يقول في كلامه التفاوت بين الناس في الرتب والصفات

---

(١) الاشارات المسألة الرابعة من النمط العاشر .

(١) انظر ص ١٠٣ من هذا الكتاب .

« . . . ثم منّ الله عليهم بفضل رأفته مستأنفاً بأن جعلهم في عقولهم ، وآرائهم متفاضلين ، كما جعلهم في أملاكهم ، ومنازلهم ، ورتبهم متفاوتين ، لما في إستواء أحوالهم ، وتقارب أقدارهم من الفساد الداعي الى فنائهم لما يلقي بينهم من التنافس ، والتحاسد ، ويثار في مجتمعهم من التباغي ، والتظالم فقد علم ذووا العقول إن الناس لو كانوا جميعاً ملوكا لتغانوا عن آخرهم ، ولو كانوا كلهم سوقه لهلكوا بأسرهم ، كما إنهم لو إستووا في الغنى لما مهن أحد لاحد ، ولا رفد حميم لحميم ، ولو استووا في الفقر لماتوا ضراً ، ولهلكوا بؤساً ، فاذا كان التحاسد من أطباعهم ، والتباغي في أصل جوهرهم كان إختلاف أقدارهم ، وتفاوت أحوالهم سبباً لبقائهم ، وعلة لقناعتهم . . .

حاجتهم الى السياسة

وأحق الناس ، وأحوجهم الى السياسة هم الملوك ، ثم الامثل فالامثل من الولاة الذين اعطوا قيادة الامم ، ثم يلونهم من أرباب المنازل ، ورواض الاهل ، والاولاد . فان كل واحد من هؤلاء راع لما يحوزه كنفه ، ويضمه رحله . .

والفقير أحوج اليها في تدبير حاله ، وامور معاشه ، وبالاجمال كل نفس إنسانية بحاجة الى السياسة بصرف النظر عن المركز الاجتماعي .

وكل إنسان ملكٌ وسوقةٌ يحتاج إلى قوت تقوّم به حياته ، ثم يحتاج الى إعداد فضل قوته يستأنف من وقت حاجته ، وانه ليس سبيل الانسان في إقتناء الاقوات سبيل سائر الحيوان الذي ينبعث في طلب المرعى ، والماء عند هيجان الجوع ، وحدوث العطش ، ومن أجل ذلك يحتاج الانسان الى مكان يخزن فيه ما يقتنيه فكان هذا سبب الحاجة الى اتخاذ المساكن والمنازل ، ثم يحتاج الى من يسهر له على منزله ، ويحافظ له على ما يدخره من أسباب الحياة ، ولم يصلح لخلافة في ذلك إلا من تسكن اليه نفسه ، ولم تسكن نفسه إلا إلى الزوج التي جعلها الله سكنا ، وكان ذلك سبب اتخاذ الاهل ، ولما كان إتخاذ الاهل سببا لحدوث الذرية ، وعلة ابقاء النسل حدث الولد ، وكثر العدد ، وزادت الحاجة الى الاقوات ، وإتخاذ الاعوان ، والخدم ، فأصبح بذلك رعية يحتاج في تدبير أمرها الى حسن التدبير ، والسياسة ، وقد استوى في هذه الأمور الملكُ ، والسوقة ، والراعي ، والمرعي ، والسائس ، والمسوس ، والخادم ، والمخدوم .

سياسة الرجل نفسه

أول ما ينبغي أن يبدأ الانسان من أصناف السياسة سياسة نفسه . إذ كانت أقرب الأشياء اليه ، واكرمها عليه ،

وأولاها بعنايته ، ولأنه متى أحسن سياستها لم يعبأ بما فوقها من سياسة المصر .

ومن أوائل ما يلزم : أن يعلم إن له عقلا هو السائس ، ونفساً أمارة كثيرة المعائب ، فاذا علم ذلك وجب أن يتطلب جميع معايب نفسه فيصلحها بدون إهمال ، ولما كانت معرفة الانسان نفسه غير موثوق بها لما في طبائع الانسان من الغباوة عن مساوئه ، وكثرة مسامحته لنفسه ، فيجب أن يتخذ الاخ اللبيب الواد الذي يكون منه بمنزلة المرآة فيريه حسن أحواله حسناً وسيئها سيئاً ، وأحق الناس ، وأحوجهم اليه الرؤساء لمكانتهم من البشر ، لا يغفلون بالنظر إلى هفواتهم ، أو بالندم عليها ، ولا يرتدعون عن الاسترسال وقلة الاحتشام . . .

سياسة الرجل نفسه وغيره

كل إنسان محتاج إلى السعي في إقتناء قوته ، والناس في باب المعيشة صنفين :

منهم من كفي السعي يرزق مهنا من وراثة أو جناء .

ومنهم من إحتاج الى الكسب بالتجارات ، والصناعات .

وكانت الصناعات أوثق ، وابقى من التجارات لأن التجارة تكون بالمال ، والمال وشيك الفناء .

وصناعات ذوي المروة ثلاثة انواع :

نوع من حيز العقل ، وهو صحة الرأي ، وحسن التدبير

وهو صناعة الملوك ، والوزراء ، وأرباب السياسة .

ونوع من حيز الادب ، وهو الكتابة ، والبلاغة ، وعلم النجوم ، وعلم الطب ، وهو صناعة الادبا .

ونوع من حيز الايدي كالشجاعة ، وهو صناعة الفرسان .

فمن رام إحدى هذه الصناعات فليفز باحكامها ، والتقدم فيها ، ثم يطلبها من أشرف الوجوه ، وأبعدها عن الطمع والمأكل الخبيث . . .

فاذا حاز الانسان ما اكتسبه ، فينبغي أن يصرف بعضه في الصدقات ، والزكاة ، وأبواب المعروف ، ويستبقي بعضه مذخراً لنوائب الدهر . . .

سياسة الرجل اهله

إن المرأة الصالحة شريكة الرجل في ملكه ، وقيمته في ماله ، وخليفته في رحله ، وأمينته فى تربية أولاده ، وخير النساء الدينة ، الحيية ، الفطنة ، الودود ، الولود ، القصيرة اللسان ، المطاوعة العنان ، الناصحة الحبيب ، الامينة الغيب ، الرزان في مجلسها ، الوقور في هيبتها ، المهيبة في قامتها ، الخفيفة المبتذلة في خدمتها لزوجها ، تحسن تدبيرها ، وتكثر قليله بتقديرها ، وتجلو أحزانه بجميل اخلاقها ، وتسلي همومه بلطيف مداراتها .

وجماع سياسة الرجل في أمور ثلاثة :

١ — أن تهابه امرأته ، وتطيعه ، وهيبة الرجل أن

يكرم نفسه ويصون دينه ومروءته ، ويصدق وعده ووعيده .

٢ — وكرامته لأهله في تحسين شارتها ، وشدة حجابها ، وترك إغارتها ، وكلما أكرم إمرأته تظل محبة له حافظة لماله ، وجاهه ، وكلما كانت أعظم شأناً كان ذلك أدل على نبل زوجها وشرفه .

٣ — وعلى الرجل أن يشغل إمرأته بسياسة أولادها ، وتدبير خدمها وبيتها فان المرأة اذا فرغ بالها لم يكن لها هم إلا التزين والتبرج .

سياسة الرجل ولده

إن من حق الولد على والده إحسان تسميته ، ثم إختيار ظئره كي لا تكون حمقاء ، ولا ورهاء ، ولا ذات عاهة فان اللبن يعدي كما قيل ، فاذا فطم الصبي يبدأ بتأديبه ، ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الاخلاق اللئيمة . . .

فينبغي لقيم الصبي أن يجنبه مقابح الأفعال ، وينكب عنه معايب العادات بالترهيب ، والترغيب ، والايناس ، والايحاش ، وبالاعراض ، والاقبال ، بالحمد مرة ، وبالتوبيخ أخرى ما كان كافياً ، فان إحتاج الى الضرب فليكن أول الضرب قليلا موجعاً كما أشار به الحكماء بعد الارهاب الشديد ، وإعداد الشفعاء ، فان الضربة الاولى اذا كانت موجعة ساء ظن الصبي بما بعدها ، واشتد منها خوفه ،

واذا كانت الاولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنـــه بالباقي فلم يحفل به ...

فاذا تهيأ الصبي للتلقين ، ووعى سمعه أخذ في تعلم القرآن وصورت له حروف الهجاء ، ولقن معالم الدين ، وينبغي يحفظ الرجز ثم القصيد ...

وينبغي أن يكون للصبي مؤدب عاقل ذو دين بصير برياضة الاخلاق حاذق بتخريج الصبيان وقور رزين بعيد من الخفة والسخف قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي غير كز ولا جامد حلواً لبيبا ذا مروة ، ونظافة ، ونزاهة ...

وينبغي أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية من أولاد الجلة حسنة آدابهم مرضية أخلاقهم فان الصبي يأخذ عن الصبي ...

وإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن ، وحفظ اصول اللغة نظر عند ذلك الى ما يراد أن تكون صناعته فوجه لطريقه ...

ويجب أن يعلم مدبر الصبي ليس كل صناعة يرومها ممكنة له مواتية لكن ماشاكل طبعه وناسبه ...

فاذا كسب الصبي بصناعته فمن التدبير ان يزوج وينفرد رحله لئلا تتلاعب به الشهوات ...

سياسة الرجل خدمه

إن سبيل الخدم من الانسان سبيل الجوارح من الجسد فانهم يسهلون سبيل الراحة بما يقومون به من الاعمال ، ويوفرون الوقت كما يتعرضون دون مخدومهم للمشاهـــد ، والامتهان ، فينبغي لك ان تحمد الله على ما سخر لك منهم ،

وأن تحوطهم ولا تقصيهم ، وتتفقدهم ولا تهملهم ، وترفق بهم ولا تحرجهم ، فانهم بشر ويمسهم من الكلال واللغوب ، ومن السآمة والفتور ما يمس البشر ، وتدعوهم دواعي حاجاتهم ، وارادات أجسامهم الى مافي طباع البشر ، فيجب إتخاذ الخدم بعد المعرفة ، والاختبار ، فان لم تستطع ذلك فينبغي ان تعمل فيه التقدير ، والفراسة ، والحدس ، والتوسم ، وان تضرب عن الصور ، والخلق المضطربة ، فان الاخلاق تابعة للخلق ، وتجنب ذوي العاهات ، ولا تثق منهم بذي الكيس الكثير والدهاء البين فانه لا يعري من الخب . . .

ثم إسند إلى الخادم الصنعة التي يحسنها ، ولا تنقله من عمل الى عمل ، ولا تحوله من صناعة الى صناعة فان ذلك من اقوى دواعي الفساد . . .

ولا ينبغي ان يكون نكير الانسان على الخادم اذا اراد الانكار عليه فان ذلك من دلائل ضيق الصدر ، وقلة الصبر ، وخفة الحلم ، ولا تصرف خادما فانك ان فعلت تحتاج الى غيره ، ولكن توصل الى إقناع الخادم إنه امين على نفسه ، ومستقبله عندك ، فيكون اصدق في خدمتك ، فالخادم لا يناصح ، ولا يحابي حتى يتحقق إنه شريك صاحبه في نعمته ، وحتى يأمن العزل ، واذا هفا الخادم فوبخه بقدر فاذا أتى بمعصية صلعاء يلتف دونها ، او جنى جناية شنعاء لا يقيا معها فالرأي المصاحب البدار الى الخلاص ، وإلا فسد عليك سائر الخدم . . . » (١)

« ١ » ملخص من رسالة تدابير المنازل أو السياسات الاهلية .